به عنهم ، فاذا قال اهل البيت المنكوب : اخذوا سعدا ! قلنا : انج سعيد ! فيخترق الطوق برعاية ليلنا الساتر أما منجاة او في طلب الرزق .

قالت : أفلا من مجير ؟

قال : ما من مجير سوى الشيوعيين واهل الكيبوتس !

وكنت لاحظت ان هؤلاء القرويين ، ما أن يلتقوا قادما من « عند العرب » ، حتى يحسبوه شيوعيا أو من الحمولة . فتراهم يوسعون له من صدورهم الواسعة . فضحكت في سري ثم قلت : يا حي الله !

وأبو محمود قال : أما الشيوعيون فيجرؤ نوابهم على اختراق الطوق . فيدخلون معنا فيه مؤاسين ومشجعين ان اصمدوا . ويجمعون الحقائق . ويصيحون في الكنيست . وهو مثل البرلمان عندكم (فضحكت في سري ثم قلت : يا حي الله !) ويضطرون الوزير الى الرد . فتخترق مصيبتنا جدار الصمت الرسمي . ويسيرون على رأس مسيرات في الناصرة وتل أبيب يهتفون في أثنائها : فكوا الطوق ، فكوا الطوق ، اليوم تحت وبكره فوق ! وينشرون عن طوقنا في صحفهم . ويقولون لنا ان صحف الاحرار ، في انحاء العالم ، تنقل عنهم فيطلق طوقنا الضمير العالمي الذي تحاول الصهيونية أن تطوقه ، لولا الشيوعيون . فهل قرأتم عن طوقنا في صحف الاقطار العربية التي لم تطوقها الصهيونية ؟

قالت دعد ، وعيناها تبرقان ايذانا برعد : ان صحف الاقطار العربية تطوقنا بالانتصارات ، كالاطواق فوق رؤوس قديسيها ، فلا يبقى مكان فيها لطوقكم . وما انفكوا يطوقوننا بأطواق الانتصارات حتى اختلط الحابل بالنابل فلم تعد تفرق بينها وبين أطواق الزهور على القبور .

قال : ولكن الصهيونية تقيم الدنيا وتقعدها على خدش اصبع ؟

فقصف الرعد . فقالت : القضية ، يا سادة ، هي وجهة نظر . فأنتم ترون في ما أصابكم مصيبة . اما نحن فان الطوق هو حياتنا . تقولون : من المهد الى اللحد . أما نحن فنقول : من الطوق الى الطوق ! فلا تنتظروا من الذين يعيشون حياتهم كلها في التطويق والتفتيش ، نهب كلاب الاثر حتى ضياع الاثر ، ان يشعروا بمصيبتكم التي اصبحت حياة أمة بأسرها ، من الخليج حتى المحيط !

فلم أتمالك لساني الا بعد أن قلت : من سواك بأخيك ما ظلم !

فاشرأبت الاعناق نحوي منزعجة . فشعرت بأنني وقعت . فرحت أحيي السامر على اليمين وعلى اليسار وأنا أقول : يا حي الله ، يا حي الله !

فهمهموا بما يشبه التحية .

قالت : وأهل الكيبوتس ؟

قال : لا يمضي اسبوع على التطويق حتى تتوق اراضيهم الى أيدينا الماهرة . فيتوسطون لفك الطوق فنعود الى العمل في حقولهم .

قالت : لماذا أنتم ؟

قال : لانها كانت حقولنا . انبتناها وسوف ننبتها . تحنو علينا كما نحنو عليها . وأما هذا الحنو فقد عجزوا عن مصادرته .

فانفلت لساني من عقاله مرة أخرى . ووجدتني أصيح مندهشا : فالخضرة نبت سواعدكم ، اذن ، لا كما ادعى الرجل الكبير !